وقوله تعالى : { فأزلهما الشيطان عنها } أي عن الجنة { فأخرجهما مما كانا فيه } أي من النعيم والنضرة والسرور إلى دار التعب والكد والنكد وذلك بما وسوس لهما وزينة في صدورهما كما قال تعالى : { فوسوس لهما الشيطان ليبدي لهما ما ووري عنهما من سوآتهما وقال ما نهاكما عن هذه الشجرة إلا أن تكونا ملكين أو تكونا من الخالدين } يقول : ما نهاكما عن أكل هذه الشجرة إلا أن تكونا ملكين أو تكونا من الخالدين أي لو أكلتما منها لصرتما كذلك .

{ وقاسمهما } أي حلف لهما على ذلك { إني لكما من الناصحين } كما قال في الآية الآخرى : { فوسوس إليه الشيطان قال يا آدم هل أدلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى } أي هل أدلك على الشجرة التي إذا أكلت منها حصل لك الخلد فيما أنت فيه من النعيم واستمررت في ملك لا يبيد ولا ينقضي ؟ وهذا من التغرير والتزوير والإخبار بخلاف الواقع .

والمقصود أن قوله : شجرة الخلد التي إذا أكل منها خلدت وقد تكون هي الشجرة التي قال الإمام أحمد : حدثنا عبد الرحمن بن مهدي حدثنا شعبة عن أبي الضحاك سمعت أبا هريرة يقول : قال رسول ا A : [إن في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعها : شجرة الخلد] .

وكذا رواه أيضا عن غندور وحجاج عن شعبة ورواه أبو داود الطيالسي في مسنده عن شعبة أيضا به .

قال غندر : قلت لشعبة : هي شجرة الخلد ؟ قال : ليس فيها هي تفرد به أحمد .

وقوله : { فدلاهما بغرور فلما ذاقا الشجرة بدت لهما سوآتهما وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة } كما قال في طه : { فأكلا منها فبدت لهما سوآتهما وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة } وكانت حواء أكلت من الشجرة قبل آدم وهي التي حثته على أكلها وا أعلم .

وعليه يحمل الحديث الذي رواه البخاري : حدثنا بشر بن محمد حدثنا عبد ا أنبأنا معمر عن همام بن منبه عن أبي هريرة عن النبي A نحوه : [لولا بنو إسرائيل لم يخنز اللحم ولولا حواء لم تخن أنثى زوجها] .

تفرد به من هذا الوجه وأخرجاه في الصحيحين من حديث عبد الرزاق عن معمر عن همام عن أبي هريرة به ورواه أحمد و مسلم عن هارون بن معروف عن أبي وهب عن عمرو بن الحارث عن أبي يونس عن أبي هريرة به .

وفي كتاب التوراة التي بأيدي أهل الكتاب : أن الذي دل حواء على الأكل من الشجرة هي

الحية وكانت من أحسن الأشكال وأعظمها فأكلت حواء عن قولها وأطعمت آدم عليه السلام وليس فيها ذكر لإبليس فعند ذلك انفتحت أعينها وعلما أنهما عريانان فوصلا من ورق التين وعملا مآزر وفيها أنهما كانا عريانين كذا قال وهب ابن منبه : وكان لباسهما نورا على فرجه وفرجها .

وهذا الذي في هذه التوراة التي بأيديهم غلط منهم وتحريف وخطأ في التعريب فإن نقل الكلام من لغة إلى لغة لا يتيسر لكل أحد ولا سيما ممن لا يكاد يعرف كلام العرب جيدا ولا يحيط علما بفهم كتابه أيضا فلهذا وقع في تعريبهم لها خطأ كثير لفظا ومعنى وقد دل القرآن العظيم على أنه كان عليهما لباس في قوله : { ينتزع عنهما لباسهما ليريهما سوآتهما } فهذا لا يرد لغيره من الكلام وا تعالى أعلم .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا على بن الحسن بن أسكاب حدثنا علي بن عاصم عن سعيد ابن أبي عروبة عن قتادة عن الحسن عن أبي بن كعب قال : قال رسول ا A : [إن ا خلق آدم رجلا طوالا كثير شعر الرأس كأنه نخلة سحوق فلما ذاق الشجرة سقط عنه لباسه فأول ما بدا منه عورته فلما نظر إلى عورته جعل يشتد في الجنة فأخذت شعره شجرة فنازعها فناداه الرحمن D : يا آدم مني تفر ؟ فلما سمع كلام الرحمن قال : يارب لا ولكن استحياء] .

وقال الثوري عن ابن أبي ليلى عن المنهال بن عمرو عن سعيد بن جبير عن ابن عباس : { وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة } ورق التين .

وهذا إسناد صحيح إليه وكأنه مأخوذ من أهل الكتاب وظاهر الآية يقتضي أعم من ذلك وبتقدير تسليمه فلا يضر وا تعالى أعلم .

وروى الحافظ ابن عساكر من طريق محمد بن إسحاق عن الحسن بن ذكوان عن الحسن البصري عن أبي بن كعب قال : قال رسول ا A : [إن أباكم آدم كان كالنخلة السحوق ستون ذراعا كثير الشعر مواري العورة فلما أصاب الخطيئة في الجنة بدت له سوأته فخرج من الجنة فلقيته شجرة فأخذت بناصيته فناداه ربه : أفرارا مني يا آدم ؟ قال : بل حياء منك يا رب مما جئت به] .

ثم رواه من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة عن الحسن عن يحيى بن ضمرة عن أبي بن كعب عن النبي A بنحوه .

وهذا أصح فإن الحسن لم يدرك أبيا .

ثم أورده أيضا من طريق خيثمة بن سليمان الأطرابلسي عن محمد بن عبد الوهاب أبي مرصافة العسقلاني عن آدم بن أبي إياس عن سنان عن قتادة بن أنس مرفوعا بنحوه .

{ وناداهما ربهما ألم أنهكما عن تلكما الشجرة وأقل لكما إن الشيطان لكما عدو مبين * قالا ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين } .

وهذا اعتراف ورجوع إلى الإنابة وتذلل وخضوع وإستكانة وافتقار إليه تعالى في الساعة الراهنة وهذا السر ما سرى في أحد من ذريته إلا كانت عاقبته إلى خير في دنياه وأخراه .

{ قال اهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم في الأرض مستقر ومتاع إلى حين } وهذا خطاب لآدم وحواء وإبليس قيل والحية معهم أمروا أن يهبطوا من الجنة في حال كونهم متعادين متحاربين .

وقد يستشهد لذكر الحية معهما بما ثبت في الحديث عن رسول ا A أنه أمر بقتل الحيات وقال : [ما سالمناهن منذ حاربناهن] .

وقوله في سورة طه : { قال اهبطا منها جميعا بعضكم لبعض عدو } هو أمر لآدم وإبليس واستتبع آدم حواء وإبليس الحية .

وقيل هو أمر لهم بصيغة التثنية كما في قوله تعالى : { وداود وسليمان إذ يحكمان في الحرث إذ نفشت فيه غنم القوم وكنا لحكمهم شاهدين } .

والصحيح أن هذا لما كان الحاكم لا يحكم إلا بين اثنين مدع ومدعى عليه قال : { وكنا لحكمهم شاهدين } .

وأما تكريره الإهباط في سورة البقرة في قوله : { وقلنا اهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم في الأرض مستقر ومتاع إلى حين * فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه إنه هو التواب الرحيم * قلنا اهبطوا منها جميعا فإما يأتينكم مني هدي فمن تبع هداى فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون * والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون } فقال بعض المفسرين : المراد بالإهباط الأول : الهبوط من الجنة إلى السماء الدنيا وبالثاني : من السماء الدنيا إلى الأرض .

وهذا ضعيف لقوله في الأول : { وقلنا اهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم في الأرض مستقر ومتاع إلى حين } فدل على أنهم أهبطوا إلى الأرض بالإهباط الأول وا أعلم .

والصحيح أنه كرره لفظا وإن كان واحدا وناط مع كل مرة حكما فناط بالأول عداوتهم فيما بينهم وبالثاني الإشتراط عليهم أن من تبع هداه الذي ينزله عليهم بعد ذلك فهو السعيد ومن خالفه فهو الشقي وهذا الأسلوب في الكلام له نظائر في القرآن الحكيم .

وروى الحافظ ابن عسكر عن مجاهد قال : أمر ا ملكين أن يخرجا آدم وحواء من جواره فنزع جبريل التاج عن رأسه وحل ميكائيل الإكليل عن جبينه وتعلق به غصن فظن آدم أنه قد عوجل بالعقوبة فنكس رأسه يقول : العفو العفو فقال ا : أفرارا مني ؟ قال : بل حياء منك يا سيدي ! .

وقال الأوزاعي عن حسان - وهو ابن عطية - : مكث آدم في الجنة مائة عام وفي رواية : ستين عاما وبكى على الجنة سبعين عاما وعلى خطيئته سبعين عاما وعلى ولده حين قتل أربعين عاما رواه ابن عساكر .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبو زرعة حدثنا عثمان بن أبي شيبة حدثنا جرير عن سعيد عن ابن عباس قال : أهبط آدم عليه السلام إلى أرض يقال لها (دحنا) بين مكة والطائف .

وعن الحسن قال : أهبط آدم بالهند وحواء بجدة وإبليس بدستميان من البصرة على أميال وأهبطت الحية بأصبهان رواه ابن أبي حاتم أيضا .

وقال السدي : نزل آدم بالهند ونزل معه بالحجر الأسود وبقبضة من ورق الجنة فبثه في الهند فنبتت شجرة الطيب هناك .

وعن ابن عمر : أهبط آدم بالصفا وحواء بالمروة رواه ابن أبي حاتم أيضا .

وقال عبد الرزاق : قال معمر : أخبرني عوف عن قسامة بن زهير عن أبي موسى الأشعري قال : إن ا حين أهبط آدم من الجنة إلى الأرض علمه صنعة كل شيء وزوده من ثمار الجنة فثماركم هذه من ثمار الجنة غير أن هذه تتغير وتلك لا تتغير .

وقال الحاكم في مستدركه : أنبأنا أبو بكر بن بالويه عن محمد بن أحمد بن النضر عن معاوية بن عمرو عن زائدة عن عمار بن أبي معاوية البجلي عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : ما أسكن آدم الجنة إلا ما بين صلاة العصر إلى غروب الشمس ثم قال : صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه .

وفي صحيح مسلم من حديث الزهري عن الأعرض عن أبي هريرة قال : قال رسول ا A : [خير يوم طلعت فيه الشمس يوم الجمعة : فيه خلق آدم وفيه أدخل الجنة وفيه أخرج منها] وفي الصحيح من وجه أخر : [وفيه تقوم الساعة] .

وقال أحمد : حدثنا محمد بن مصعب حدثنا الأوزاعي عن أبي عمار عن عبد ا بن فروخ عن أبي هريرة عن النبي A قال : [خير يوم طلعت فيه الشمس يوم الجمعة فيه خلق آدم وفيه أدخل الجنة وفيه أخرج منها وفيه تقوم الساعة] على شرط مسلم .

فأما الحديث الذي رواه ابن عساكر من طريق أبي القاسم البغوي : حدثنا محمد بن جعفر الوركاني حدثنا سعيد بن ميسرة عن أنس قال : قال رسول ا A : [هبط آدم وحواء عريانين جميعا عليهما ورق الجنة فأصابه الحر حتى قعد يبكي ويقول لها : يا حواء قد آذاني الحر قال : فجاء جبريل بقطن وأمرها أن تغزل وعلمها وأمر آدم بالحياكة وعلمه أن ينسج] وقال : [كان آدم لم يجامع امرأته في الجنة حتى هبط منها للخطيئة التي أصابتها بأكلها من الشجرة] قال : [وكان كل واحد منهما ينام على حدة وينام أحدهما في البطحاء والآخر من ناحية آخرى حتى أتاه جبريل فأمره أن يأتي أهله] قال : [وعلمه كيف يأتيها فلما أتاها جاءه جبريل فقال : كيف وجدت امرأتك ؟ قال : صالحة] .

فإنه حديث غريب ورفعه منكر جدا وقد يكون من كلام بعض السلف وسعيد بن ميسرة هذا هو : أبو عمران البكري البصري قال فيه البخاري : منكر الحديث وقال ابن حبان : يروي

الموضوعات وقال ابن عدي : مظلم الأمر .

* * * .

وقوله : { فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه إنه هو التواب الرحيم } قيل هي قوله : { ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين } روى هذا عن مجاهد وسعيد بن جبير وأبي العالية والربيع بن أنس والحسن وقتادة ومحمد بن كعب وخالد بن معدان وعطاء الخرساني وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا علي بن الحسن بن أسكاب حدثنا علي بن عاصم عن سعيد ابن أبي عروبة عن قتادة عن الحسن عن أبي كعب قال : قال رسول ا A : [قال آدم عليه السلام : أرأيت يا رب إن تبت ورجعت أعائدي إلى الجنة ؟ قال : نعم] فذلك قوله : { فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه } .

وهذا غريب من هذا الوجه وفيه انقطاع .

وقال ابن أبي نجيح عن مجاهد قال : الكلمات : [اللهم لا إله إلا أنت سبحانك وبحمدك رب إني ظلمت نفسي فاغفر لي إنك خير الراحمين اللهم لا إله إلا أنت سبحانك وبحمدك رب إني ظلمت نفسي فتب علي إنك أنت التواب الرحيم] .

وروى الحاكم في مستدركه من طريق سعيد بن جبير عن ابن عباس : { فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه } قال : قال آدم : يا رب أمل تخلقني بيدك ؟ قيل له : بلى ونفخت في من روحك ؟ قيل له : بلى وعطست فقلت يرحمك ا وسبقت رحمتك غضبك ؟ قيل له : بلى وكتبت علي أن أعمل هذا ؟ قيل له : بلى قال : أفرأيت إن تبت هل أنت راجعي إلى الجنة ؟ قال : نعم .

ثم قال الحاكم : صحيح الإسناد ولم يخرجاه .

وروى الحاكم أيضا و البيهقي وابن عساكر من طريق عبد الرحمن بن زيد بن أسلم عن أبيه عن جده عن عمر بن الخطاب قال : قال رسول ا A : [لما اقترف آدم الخطيئة قال : يا رب أسألك بحق محمد إلا غفرت لي] .

فقال ا : فكيف عرفت محمد ولم أخلقه بعد ؟ .

فقال : يا رب لأنك لما خلقتني بيدك ونفخت في من روحك رفعت رأسي فرأيت على قوائم العرش مكتوبا : لا إله إلا ا محمد رسول ا A فعلمت أنك لم تضف إلى اسمك إلا أحب الخلق إليك .

فقال ا : صدقت يا آدم إنه لأحب الخلق إلي وإذا سألتني بحقه فقد غفرت لك ولولا محمد ما خلقتك .

قال البيهقي : تفرد به عبد الرحمن بن زيد بن أسلم من هذا الوجه وهو ضعيف وا أعلم .

وهذه الآية كقوله تعالى : { وعصى آدم ربه فغوى * ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى }